

المقدمة

"إذا كانت الحياة مجرد لعبة، فالسؤال هو: هل أنت جزء منها؟ إذا كان الجواب نعم، فمن الذي يحركك؟ من الذي يأخذ منك ما تريد عندما لا يكون بينك وبينه سوى بضع خطوات؟ من الذي يعيدك إلى النقطة التي بدأت منها؟ نعم، إنه أنت. دعني أصيغ الكلام بشكل أوضح: للإنسان صفات خاصة قد تفرضها عليه الحياة أو يفرضها هو على نفسه. فتجده إما أن يمتدح نفسه بها أو يلعنها. وقد تتباين تلك الصفات بين الخير والشر. فتجدنا أحياناً نمتدح أنفسنا بصفة كان يفترض أن تكون لعنة. ننفق حياتنا في سبيل أن نجد طريقه للخلاص منها. لكننا ومن غير أدنى شعور بالخطر من هذه الصفة، تجد البعض يتعامل معها كأنها ميزة سبق أن أعطاهها القدر لكي يسطو بها على من حرم هذه الصفة. ونجد أحياناً عكس ذلك، نجد فئة من الناس أعطاهم القدر صفات كلها خير، لكنهم ومن غير شعور أيضاً ينحدرون إلى صفات الشر التي جمّلها أصحابها على الرغم من شدة قباحتها. ونتيجة كل هذا وعلى مر الأجيال تتولد "قيود" وهمية تربط الكثير منا وهم لا يعرفون السبب وليسوا قريبين أصلاً من الوصول إليه لأن العقول سبق أن تم تقييدها بطريقة تجعل من الإنسان مجرد دمىة في مسرح الحياة، ليس لها من خيار سوى حركة عشوائية لا غاية لها ولا هدف."

قيود الحياة

القصة الأولى بعنوان

﴿ أرادت الأرض ﴾

القصة الأولى من كتاب قيود الحياة وهو سلسلة قصصية

تناقش مواضيع مهمة في الحياة بأسلوب سهل الالفاظ

واضح المعاني عميق الفكرة

تأليف: عبدالقادر سعد

الفصل الاول

(١)

وقف خيرى، وقد علت على قسّمات وجهه علامات الحزن، فلقد كان نسخة طبق الأصل من أبيه، ولم يرث من ملامح والدته اللطيفة شيء، والتي كانت اسماً على مسمى.

وقف ينظر إلى أبيه بنظرة الوداع، وهم ينزلونه في قبره كان المشهد أمامه يتحرك كما لو أنه قد تباطأ فكأن كل شيء حوله يتحرك بالحركة البطيئة.

كان الفتى سارحاً في ذكرياته الجميلة التي قضاها مع والده وتلك المواقف التي تتبادر دائماً إلى ذهن الإنسان بالأوقات السعيدة والحزينة، لكنها تكون شديدة الألم عندما تتكرر في

خياله وهو في هذا الموقف وقد فقد جزءاً مهماً مما فيها إلا
وهو والده؛ لأنه كان بمثابة الأخ الكبير بالنسبة لابنه الوحيد.

الفصل الأول

(٢)

كان الأب حريصاً دائماً على جعل خيري لا يشعر بفقدان
والدته، على الرغم من صعوبة الأمر، وبينما كان الفتى
يطوف في الماضي سارحاً عن الحاضر سمع صوت أحد
العاملين في المقبرة وهو رجل كبير بالسن، وقد ارتفع
صوته قليلاً يناديه.....

أيها الفتى هل تريد أن ترمي حفنة التراب الأولى فأنت أولى
بها؟؟؟ رد خيري بنبرة متقطعة وحزينة لا يا سيدي أرجوكم
أكملوا عملية الدفن.

نظر الرجل العجوز إلى عيني الفتى بنظرة تأنيبية؛ فلم يرى مثل برودة ملامحه من قبل، ففسر ذلك بأن الفتى لا يحب أباه، ويريد فقط الانتهاء من الدفن بسرعة.

الفصل الأول

(٣)

كانت ظنون العجوز بالتأكيد خاطئة؛ لأن الحزن الشديد لا يفسر بالصياح الهستيري أو عرقلة الميت في كل خطوة يخطونها به إلى قبره لأن الابن أو البنت أو الزوجة.....الخ تحب الفقيد محاولة بشتى الطرق ان تبين للناس مدى حبها له.

ربما يكون لكل إنسان طريقته الخاصة بالتعبير عن مشاعره، وهذا ما لا يستطيع فهمه الكثير من الناس، وقد أكون أنا نفسي منهم.

أكمل العمال عملية الدفن، وفي أثناء ذلك كانت السماء قد بدأت تظلم بقي خيري واقفاً أمام قبر أبيه وحده بعد أن غادر أصدقاءه وأصدقاء والده، وبعد عدة دقائق أصبحت المقبرة خالية من الناس تقريباً.

الفصل الأول

(٤)

اقترب خيري من قبر والده، حتى صار ملاصقاً له، وكان الجو قد بدأ يزداد برودة فقال: اعلم بأنك تسمعي يا أبي لهذا أود أن أبدأ كلامي اعتذاراً؛ لأنني لم أنفذ الجزء الأول من وصيتك.

أنّ المكان الوحيد الباقي بجوار قبر والدتي قد دفن فيه شخص غريب قبل أن آتي بك إلى المقبرة بساعتين، ولقد أخبرت عمال المقبرة بأنك سبق أن حجزت ذلك المكان لنفسك بعد وفاة والدتي بسنة، لكن لم يدر أحد منهم للأمر أي أهمية مبررين خطأهم ببعض الحجج البالية.

عليك أن تعرف يا أبي بأني حاولت قدر المستطاع أن يكون مكانك الجديد قريباً من قبر أمي.

الفصل الأول

(٥)

لكنني ما زلت مستغرباً كيف بقي ذلك المكان بجوار قبر
أمي خالياً طوال السنين الثلاثة الماضية واليوم بالذات نتفاجأ
بوجود أحد غريب قد دفن فيه حقاً أن أمر بعض الصدف
غريب.

لكن على كل حال يا أبي أتمنى أن تكون مرتاحاً في قبرك
الجديد، و أعلم يا أبي بأنني فعلت ما في وسعي؛ لأن
وصيتك تمثل لي حالياً أهم من كل الأشياء التي سوف أقوم
بها بعد أن تركتني وحدي.

وأعدك بأنني سوف أبقى قوياً كما عرفتني ولن أنساك ما
حييت؛ لأنك كنت بمثابة صديق، بل أعز من ذلك بكثير
فأنت أبي وأخي وصديقي وأقرب من أقرب شخص إلى قلبي
الذي يتفطر المأ على رحيلك.

الفصل الأول

(٦)

قال خيري هذا، وأخرج من جيبه ورقة كان قد أعطاها إليه والده بعد سنة من وفاة زوجته والتي هي والدة خيري، وقد طلب منه بعد أن يدفنه بجوار زوجته أن يقف بين القبرين،

ويقرأ ما كتب فيها بالضبط بدون أقل زيادة أو نقصان، ويأتي باليوم الثاني، فيعيد الأمر وكذلك في اليوم الثالث، ويستمر لمدة سبعة أيام متتالية، ويكون يوم الدفن هو اليوم الأول.

فتح الورقة، ونظر إلى ما فيها ليرى ملاحظة قد كتبت بخط كبير في أعلى الورقة دلالة على أهمية تنفيذها تقول (اطلب منك يا بني أن تقرأ ما كتبت بصوت عال حتى وإن كانت المقبرة مليئة بالناس).

الفصل الأول

(١)

نظر إلى ما قد كتب أسفل هذه الملاحظة، وحاول أن يرفع
صوته، فقرأ (اطلب منك العفو والمغفرة؛ لأنني فكرت في
نفسي فقط اطلبها بلسان من فوق الأرض، ومن تحتها اطلبها
بلسان الأحياء والأموات).

لم يفهم خيري معنى ما قراءة لتوه فلماذا يطلب والده من
والدته السماح حاول أن يعيد ما قرأه بصمت مرات عديدة
ليفهم؛ لأنه ظل مستغرباً؛ مما كتب فيها متسائلاً ما معنى
هذا؛ فهو يعلم حقيقة العلم بأن العلاقة التي جمعت والده
ووالدته كانت على خير ما يرام،

ولا يذكر أن في يوم من الأيام قد حدث خلاف بينهم، فلقد
كانوا متفقين و متفاهمين حتى في أبسط الأمور.

الفصل الأول

(١)

وبعد حيرة وذهول والكثير الكثير من التساؤلات التي تركها والده خلفه قرر أن يترك المقبرة، ويرجع إلى المنزل؛ لأن برودة الجو أصبحت لا تطاق مسح على قبر أبيه بقبلة كأنه يقول له إلى لقاء.

رجع إلى منزله، وفي أثناء مشيه كان يفكر بأنه يجب أن يتفرغ وينظر إلى مستقبله؛ لأنه لا يجوز أن يبقى وحده من الآن فصاعداً كان خيري قد خطب فتاة قبل وفاة والده بأربعة أشهر،

وكانت هذه الفتاة زميلته بالدراسة أحبها فطلب من والده أن يخطبها له، لكن والد الفتاة اشترط أن تسكن بنته بالقرب منه وإلا، فإنه سوف يرفض ويزوجها لأبن عمها.

الفصل الأول

(٩)

تفاجأ خيري من رد فعل والده، فلقد وافق بدون أي أدنى تردد وكان سبب استغرابه هو أن المدينة التي تعيش فيها الفتاة بعيدة جداً عن منزلهم، وإن موافقة أبيه تعني أنه سوف ينقل عمله، ويترك أصدقاءه الذين لا يمل من رفقتهم أبداً،

ويبيع المنزل وينتقل إلى منزل جديد في مدينة جديدة كلياً لا يعرفون فيها أحداً تقريباً لكن الآن وبعد وفاة والده أصبحت الأمور تعتمد عليه بشكل تام فعليه أن يبيع منزلهم، ويشترى المنزل الذي سبق أن اتفق والده مع صاحبه قبل وفاته بثلاثة أشهر،

لكن قبل ذلك يجب أن ينهي وصية أبيه التي تركها له، وحرص على أن تتم بشكل صحيح دون أدنى خطأ.

الفصل الثاني

(١٠)

وأخيراً وصل إلى منزله الذي أصبح فارغاً تماماً الآن من أي أحد يمكن أن يتحدث معه، أو يواسيه على فقده كان المكان الأول الذي فكر بالذهاب إليه هو تلك الأريكة القديمة التي لطالما كانت المكان الذي يجلس فيه مع والده ليتبادلا المزاح وليشاهدا التلفاز.

جلس وبيده ألبوم الصور، فبدأ يقلب صور العائلة، فكانت مليئة بالذكريات الجميلة التي من الصعب نسيانها فكان الصور أصبحت بمثابة محفز لتشغيل فيديو الذكريات في مخيلته.

لأن الأيام التي قضاها مع والديه لا يمكن أن ينسى منها لحظة واحدة،

الفصل الثاني

(١١)

فتذكر والدته التي كانت في غاية اللطف والرفقة، وبعد عودته من رحلته الطويلة في ماضي الذكريات قرر أن ينام؛ بسبب التعب الذي كان يستبد بجسده، على الرغم من صعوبة قراره لأن النوم، وفقد العزيز لا يتناسباً أبداً

لذا فكر أن ينام على الأريكة نفسها لما لها من ذكريات.

وبعد أن نام بصعوبة رأى في المنام أنه يجلس على نفس الأريكة وبالقرب منه يجلس والده وملامحه تدل على الحزن الشديد نظر خيري إلى أبيه كأنه يقول له لماذا أنت بهذا الحزن نظر إليه الاب، فقال بنبرة تخنقها مرارة الحزن (لا داعي لأن تذهب إلى المقبرة غداً، فلقد شاءت الأرض أن تجمع من فرقته أنانية البشر)

الفصل الثاني

(١٢)

انتهى الحلم إلى هذا الحد فتح خيري عينيه، فكانت الغرفة لا تزال مظلمة مع دخول ضوء خافت من النافذة وقف على قدميه، وقرر أن يفتح ستارة النافذة بالكامل، وإذا بالصباح قد حل،

لكن السماء كانت تكتسي بغيوم سوداء تنذر بهطول مطر شديد. عاد فجلس على نفس الأريكة محاولاً فهم معنى الحلم الذي لا يقل غموض عن الكلمات التي تركها أبيه في وصيته لكن دون فائدة،

المسألة تزداد تعقيد كلما أراد أن يضعها في سياق يمكن له من خلاله أن يفهم، ولو قليلاً ماذا أراد والده أن يقول لكن وبعد تفكير طويل قرر أن يغلق الموضوع إلى الأبد،

الفصل الثاني

(١٣)

ويحول تركيزه إلى الأمور التي ما بين يديه حالياً، والتي يستطيع التحكم بها وأهمها هي مسألة بيع المنزل القديم والانتقال إلى المنزل الجديد لكن قبل ذلك أراد خيري أن يزور قبور والديه للمرة الأخيرة قبل أن يترك هذه المدينة، ويغادرها إلى الأبد تاركاً خلفه كل الذكريات على اختلافها من ذكريات الطفولة وأصدقائها فضلاً عن أصدقائه الحاليين وبالتأكيد ذكريات والديه التي لن يأخذ منها إلا ما استطاع أن يحمله.

وبالنهاية فكر بأن من الأفضل أن يذهب إلى المقبرة بسرعة قبل أن تبدأ السماء تمطر.

خرج من المنزل بسرعة متجهاً إلى المقبرة التي لم تكن تبعد كثيراً عن منزلهم.

الفصل الثالث

(١٤)

وعند وصوله إلى المقبرة مر بجوار قبر والده فقال بصوت مسموع وداعاً يا أبي، واتجه مباشرة إلى قبر والدته الذي لم يكن يبعد كثيراً عن قبر والده، وعندما اقترب من القبر لاحظ وجود فتاة تقف إلى جانب قبر الشخص الغريب الذي دفن جوار والدته.

وقف خيري هو أيضاً جوار قبر والدته فأصبح الاثنان احدهما يقف أمام الآخر وبعد صمت طويل رفع خيري رأسه ليرى بأن الفتاة تحمل بيدها أوراقاً قديمة حتى إن بعضها قد أتلفها الزمن.

تردد بالبداية من سؤال الفتاة عن سبب اختيارهم هذا الموقع بالذات لكنه في نهاية الأمر

الفصل الثالث

(١٥)

لم يستطع تحمل فضول السؤال فقال بنبرة حزينة بعض الشيء لما للمكان من أجواء تتطلب ذلك : ما قرابتك للميت يا سيدتي؟؟؟

ردت الفتاة بصوت حزين: إنه أبي أحس خيري بحزن شديد في صوت الفتاة فقال: هل كانت علاقتكم جيدة قالت الفتاة، وقد التمعت في عينيها دموع الحزن: لقد طلبت والدتي الطلاق من أبي بعد سنة من ولادتي لأنها كانت تعتقد بأن أبي لا يحبها فأخذتني معها،

ظل أبي وحيداً في منزله لمدة ثلاثين سنة، وفي السنين الثلاثة الماضية عانى أبي مرضاً شديداً،

الفصل الثالث

(١٦)

فتحوت أنا وزوجي لنعيش معه في المنزل نفسه لكي أكون قريبة منه خلال فترة مرضه، وأقدم له الرعاية التي يحتاجها. لقد كان عندما يشتد به المرض يبدأ بالهذيان مردهاً اسمي إنَّ هذا ما اعتقدت بالبداية.

نظر خيرى إلى الأوراق التي كانت تحملها بيدها فسأل هل هذه وصية أو ما شابه ذلك؟؟؟ نظرت الفتاة إلى الأوراق، وقالت لا أنها رسائل قال خيرى، وهل تحمل هذه الرسائل ذكريات سعيدة؟؟؟

ردت الفتاة، وقد نزلت من عينيها دمعة.....أبدأ،

الفصل الثالث

(١٧)

أنها رسائل لابي عندما كان شاباً مع حبييته، وكانت الرسالة الأخيرة من حبييته تقول فيها أن صديق والدها طلب يدها للزواج من ابنه، وأن والدها يحب صديقه جداً فلا يستطيع أن يرفض طلبه،

و تطلب من حبيبتها الذي هو أبي أن يسرع لطلب يدها من والدها، ولا يهتم لأمر المال،

وأنه أن لم يأت قبل الشاب فأنها سوف تطلب من الشاب الذي يريد الزواج منها أن يرفضها لأنها تحب أحداً غيره، وأنها سوف تقبل يده وقدمه أن تطلب الأمر مقابل أن يرفضها دون أن يفضح أمرها أمام أحد.

الفصل الثالث

(١١)

وفي رسالة أخرى كتبت له بأن الشاب رفض ما أرادت،
وعزم على الزواج منها، وقد كتبت في نهاية الرسالة حبيبتيك
إلى الأبد لطيفة!!!!

صعق خيري عندما سمع الفتاة تنطق اسم والدته فبدأت
الأمور تتجمع في عقله، وتتضح وتذكر في اللحظة نفسها أن
والده سبق أن أخبره بعد وفاة أمه بأنه كان يحلم على نحو
متكرر بأمه، وقد عادت إلى شبابها تجلس والدموع تملأ
عينها وأمامها شاب ممدد، وتظهر على وجهه علامات
المرض، وفي أثناء سرحانه في تفكيره وذهوله سقطت قطرة
المطر الأولى مباشرة على قبر والد الفتاة فتبعتها قطرة ثانية
على قبر والدته خيري، ومن ثم بدأت السماء تمطر بشدة.

النهاية